

### السنة في العهد النبوي

- نتحدث في هذا الباب عن الرسول ﷺ من حيث هو معلم ومرب وعن تجاوبه مع دعوته، وموقفه من العلم، ومنهجيه ﷺ في التعليم.
- ونتناول مادة السنة وحاجة المسلمين إليها، ثم نبين كيف كان الصحابة يتلقونها عن الرسول ﷺ.
- ثم نختمه بانتشار السنة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، وبيان عوامل هذا الانتشار آنذاك.

obeyikandi.com

## تهيد

عرفنا البيئة التي ظهر فيها رسول الله ﷺ، والفترة التي قضاهما في دعوته الطاهرة وقد كانت مرحلة تعليمية تطبيقية، وأساساً متينا لبنان الحضارة الإسلامية الشامخ، الذي غير وجه التاريخ، وأمدّه بذخيرة حضارية في مختلف نواحي الحياة.

فإذا ما نظرنا إلى تلك الحقبة التي لا تتجاوز ربع قرن من عمر الزمن، منذ بدء دعوة محمد ﷺ حتى وفاته، ألفينا أنفسنا أمام مدرسة كبيرة جداً في مرحلة تربوية جديدة، يشرف على توجيهها وتربية طلابها وتعليمهم محمد ﷺ، و«موادها» القرآن والسنة، وطلابها الصحابة رضوان الله عليهم.

وإذا حاولنا أن نحكم على هذه التجربة التربوية، حكماً علمياً صحيحاً كان لا بد لنا من أن نستعمل طرق القياس والدراسة التربوية، لنتمكن من معرفة مدى نجاح تلك المدرسة الكبرى، ومقدار الإفادة من تلك المادة العلمية التي كانت موضوع الدرس والبحث والتطبيق، ولا يتحقق لنا هذا إلا بدراسة شخصية المعلم المربي، وتفاعله مع مادته ورسائله، وعلاقته بطلابه وتفاعلهم معه، ومدى تجاوب هؤلاء الطلاب مع مربيهم ومع مادته، لتتعرف من خلال هذه الفائدة العلمية التربوية التي جنوها، ونطمئن إلى مصير العلم الذي تلقوه وشاركوا في تطبيقه.

لهذا كله كان لزاماً علينا أن نتعرف على شخصية الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، مربيًا ومعلمًا، ونطلع على منهجه وأسلوبه، وعلى المادة التي كانت موضوع العناية والتطبيق من حيث اتصالها ببيئة الطلاب وحياتهم اليومية ونطلع على منهج الصحابة أنفسهم في التلقى، ومدى تجاوبهم مع رسول الله ﷺ، وتفاعلهم مع الشريعة الغراء، وخاصة السنة الشريفة، كل هذا ليكون بحثنا موضوعياً دقيقاً، يصور الواقع الذي كانت عليه السنة تصويراً صحيحاً.

وإن دراسة المربي والمادة والطلاب تُتَبَيَّنُ مدى نجاح تلك التجربة لأن لكل جانب من هذه النواحي الثلاثة أثره البعيد في فهم المادة العلمية المدروسة وبقائها مدة طويلة في نفوس الطلاب واضحة جلية، فكلما تضافرت هذه العوامل الثلاثة في طرق الإيجاب، كانت الفائدة عظيمة جلية، وبقيت المادة في أذهان الطلاب أمداً بعيداً، وإذا تنافرت هذه العوامل وقل تجاوبها فيما بينها لم تؤت أكلها، وتضاءلت الفائدة المرجوة منها، وسرعان ما يأتي النسيان على تلك المادة التي كانت موضوع البحث والدراسة والتطبيق، وعلى ضوء هذا نتناول البحث من أطرافه الثلاثة المذكورة في هذا الباب.

## ١- الرسول صلى الله عليه وسلم

أ- معلم مرب:

مهما حاولت أن أصف الدرجة التي وصل إليها الرسول ﷺ من الخلق الكريم والسلوك المستقيم فلن أستطيع الإحاطة بذلك، ولا غرابة فأى أديب يمكنه أن يعبر عن العناية الإلهية التي شملت رسول الله ﷺ في جميع مراحل حياته؟ وأى مؤرخ يمكنه أن يستقصى جميع أخباره دقيقها وجليلها في هذا المجال؟ ومع هذا فإن المؤلفات التي دُوِّنت عن حياة رسول الله ﷺ في مختلف ظواهرها لم يُدَوَّنْ مثلها لرجل في التاريخ قط. وأحاول الآن أن أتناول الخطوط الكبرى لموضوعنا هذا.

لقد اصطفى الله تعالى محمداً ﷺ، ورباه وعلمه بعنايته الإلهية ليتمكن من حمل الرسالة وتبليغها، فأعدَّ إعداداً عظيماً، حتى كان القرآن خلقه: يرضى برضاه، ويسخط بسخطه<sup>(١)</sup>، بُعث ليتمم مكارم الأخلاق، «فلم يكن ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، وكان يقول: إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً»<sup>(٢)</sup>. كان أشد حياءً من العذراء في خلدتها<sup>(٣)</sup>، وإذا كره شيئاً عرف في وجهه<sup>(٤)</sup> وإذا سرَّ استنار وجهه

(١) روى عن عائشة نحوه، انظر سنن ابن ماجه: الأحكام.

(٢) روى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما: فتح الباري ص ٣٨٥ ج٧.

(٣) عن أبي سعيد الخدري: فتح الباري ص ٣٨٧ ج٧.

(٤) من طريق شعبة بن الحجاج: فتح الباري ص ٣٨٨ ج٧.

حتى كأنه قطعة قمر<sup>(١)</sup> وكان أصحابه يعرفون ذلك منه . ولم يحقد على إنسان قط لنفسه ، وما انتقم لنفسه «إلا تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها»<sup>(٢)</sup> .

كان سيد الناس في أخلاقه ومعاملاته؛ وكيف لا وقد اختاره الله تعالى ليكون للعالم أسوة حسنة ، وأوحى إليه ليكون لهم بشيراً ونذيراً؟ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] فكانت مهمته عليه الصلاة والسلام مهمة صعبة جليلة ، يبلغ الناس آيات الله جل وعلا ، ويفقههم في الدين ، ويطهرهم وينقذهم مما كانوا فيه ، لذلك كله كان صلوات الله وسلامه عليه يتمتع بصفات خلقية سامية ، ويتميز بشخصية تربوية عالية ، تتجلى فيها الآداب الكريمة ، التي تتدفق من خصاله الحميدة الكثيرة ، ويكفيها في ذلك كله شهادة الله سبحانه وتعالى له إذا يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] .

أما من الناحية العلمية فقد شرح الله صدره وعلمه ما لم يكن يعلم ، فبلغ ﷺ من العلم غاية لم يبلغها بشر سواه ، فكان المرجع الأول للمسلمين في أحكام القرآن ، وتعاليم الإسلام ، وعرف سير الأمم الغابرة ، وجمع إلى ذلك علم أهل الكتاب ، وأوتى جوامع الكلم ، إلى جانب معرفته بالعلوم الأخرى التي تتصل بالحياة الإنسانية ، يدرك ذلك من تتبع أخباره ﷺ وسيرته ، قال تعالى: ﴿وَإَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] فعلم دقائق أحكام القرآن فحمله إلى الناس ، وبينه بسنته الطاهرة وسلوكه المستقيم ، فكان المعلم الأول ، والمرشد الأمين إلى الطريق القويم ، وكان بحق رحمة للعالمين .

(١) فتح الباري ص ٣٨٤ ج ٧ .

(٢) المرجع السابق ٣٨٧ ج ٧ من حديث عائشة .

ب - تجاوبه مع دعوته:

لما كان لتجاوب المرابي مع مادته أثر بعيد في إفادة طلابه، وبقاء المادة العلمية ثابتة راسخة في أذهانهم، أحببت أن أنبه إلى تجارب الرسول الكريم مع رسالته ودعوته، لنذكر فيما بعد أثر ذلك في حفظ السنة الشريفة.

إنه لا يشك إنسان في أن رسول الله عليه الصلاة والسلام، قد اندفع من صميم فؤاده وبجميع قواه في سبيل تبليغ رسالته، وقد تحمل الكثير من الأذى، وقاسى الصعاب وصبر الصبر الجميل لتدعيم أركان الحنيفية السمحة، واضطهد كثيراً حتى غادر مسقط رأسه. ومع هذا كان يتمنى لقومه الهداية والرشاد، فيطيب الله خاطرهم، ويحفف عنه، مبيئاً أن هدايتهم بيده عز وجل فيقول: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

ويصور الله تعالى ضيقه ﷺ في سبيل هداية قومه فيقول: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

حتى إذا مارست دعائم الإسلام وقويت شوكته، وقامت دولته كان الرسول عليه الصلاة والسلام، القائد الموجه والرئيس المشرف، والفقير المعلم، والمفتي الصادق يمارس كل هذا بنفسه الصافية وروحه العالية مندفعاً في أداء الأمانة فقصى عمره داعياً إلى الله معلماً ومرشداً، يحب أصحابه حباً جماً يشاركهم آلامهم وأفراحهم، وفي هذا كله كان منسجماً انسجاماً تاماً مع رسالته سعيداً بدعوته، خير من يهتدى بسيرته في مختلف مظاهر الحياة، وقد كان الأسوة الحسنة لأصحابه الذين خالطوه ورأوه وسمعوا منه وعرفوا عنه كل دقيق وجليل، فنقلوه إلينا بإخلاص ودقة.

ج - موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من العلم:

لقد نزل الوحي على رسول الله عليه الصلاة والسلام أول ما نزل بآيات توجه النظر الإنساني إلى التعلم، وتطالبه بالقراءة، فصدع بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

وإنا لتجد القرآن يدعو إلى التعلم، ويحض على طلب العلم، ويبين درجات العلماء، ويخاطب العقلاء، ويحضهم على التدبر في آيات الله تعالى وآياته، من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] وقوله سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] وقوله: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقد حض على سؤال العلماء فقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] وأوجب نشر العلم وبيان أحكام الله فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] كما حض على طلب العلم والتعليم فقال: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، بل حض على الاستزادة من العلم فقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

ولسنا هنا بصدد إحصائيات العلم والتعليم والعلماء في القرآن الكريم، فإن المقام لا يتسع لذلك،، وإنما الغاية أن نعرف موقف الرسول ﷺ من العلم والحث على طلبه، وتشجيعه العلماء وطلاب العلم على ممارسة التعليم والتعلم، فنتطلع على سنته عليه الصلاة والسلام في ذلك، لأن لهذا أثراً بعيداً في حفظ «السنة» إلى جانب القرآن الكريم. وإن ما نستعرضه الآن إنما هو غيض من فيض.

## ١ - حض الرسول على طلب العلم:

بين رسول الله ﷺ منزلة العلم وحض على طلبه فقال: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»<sup>(١)</sup> وقال ﷺ: «فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ»<sup>(٢)</sup>،

(١) رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة في مسنده ص ١٨٠ حديث ٧١٩٣ ج ١٢ إسناده صحيح. ورواه الطبراني في الصغير ورجاله رجال الصحيح، انظر: مجمع الزوائد ص ١٢١ ج ١ وسنن ابن ماجه ص ٤٩ ج ١، وأخرجه البخاري في صحيحه في غير موضع مسنداً ومعلقاً على صيغة الجزم فهي في حكم المسند.

(٢) رواه ابن ماجه ص ٥٠ ج ١ وذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم ص ٢٦ ج ١ كما أخرجه الترمذي.

وجعل العلم ركناً من أركان الخير وميز الناس به فقال: «الناسُ معادنٌ فخيرُهم في الجاهليَّةِ خيارُهم في الإسلام إذا فقهوا»<sup>(١)</sup>.

وجعل طلب العلم الشرعي الذي يحتاج إليه المسلم ليقوم أمور دينه فريضة على المسلم فقال عليه الصلاة والسلام: «طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ»<sup>(٢)</sup>، وأما العلوم الأخرى التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم فهي من باب فرض الكفاية، يأتى جمع المسلمين إذا احتاجوا إلى علم ولم يوجد بينهم من يكفيهم إياه، ثم لا يتحللون من ذلك حتى يسدوا ذلك النقص.

وجعل العلم من الأمور التي يغتبط فيها ويتنافس في مضمارها فقال ﷺ: «لا حَسَدَ إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالاً فسلَّطه على هلكته في الحق، وآخر آتاه الله حكمةً، فهو يقضى بها ويعلمها»<sup>(٣)</sup>.

وحدث ﷺ المسلمين على أن يكون لكل منهم نصيب من العلم فقال: «اغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو مُحباً، ولا تكن الخامسةُ فتهلك»<sup>(٤)</sup>، وقال عطاء: قال لى مسعر: زدتنا خامسة لم تكن عندنا، والخامسة أن تبغض العلم وأهله.

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يحض أصحابه على تفهم أمور دينهم، ويأمرهم أن يسألوا عما يجهلون، ويمنعهم أن يفتوا من غير علم، ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عباس: أن رجلاً أصابه جرح في عهد رسول الله ﷺ، قد أصابه احتلام، فأمر بالاعتسالة فمات، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «قتلوه!! قتلهم الله!! ألم يكن شفاء العيِّ السؤال!!»<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله انظر مجمع الزوائد ص ١٢١ ج١ وقال رجاله رجال الصحيح وانظر جامع بيان العلم ص ١٨ ج١.

(٢) سنن ابن ماجه ص ٥٠ ج١، رواه أنس عن الرسول ﷺ.

(٣) مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن عباس ص ٧٨ حديث ٤١٠٩ ج١ إسناده صحيح ورواه البخارى ومسلم، وانظر جامع بيان العلم ص ١٧ ج١. والمراد بالحسد هنا الغبطة وهى أن يتمنى المرء مثل ما عند غيره من غير أن يتمنى زواله عنه. وأما الحسد فهو أن يتمنى زوال النعمة عن غيره لتكون له وهو محرم فى الإسلام ونهى عنه رسول الله ﷺ.

(٤) مجمع الزوائد ص ١٢٢ ج١ ورجال موثوق بهم، وقد رواه الطبرانى فى معاجمه الثلاثة، والبيزار.

(٥) مسند الإمام أحمد ص ٢٢ حديث ٣٠٥٧ ج٥ بإسناد صحيح. وأخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله =

ولم يقتصر حض رسول الله لأصحابه على طلب العلم الشرعى من خلال القرآن والسنة الطاهرة، بل دعاهم إلى كل علم يفيد المسلمين، حتى إنه أول ما قدم المدينة، وسمع من زيد بن ثابت بضع عشرة سورة من القرآن، وهو صغير السن أعجب به، وأمره أن يتعلم لغة اليهود، فقال: «يا زيد تعلم لى كتاب يهود، فإنى والله ما آمن يهود على كتابى» وفى رواية: «إنى أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا على أو ينقصوا، فتعلم السريانية». قال زيد: فتعلمتها فى سبعة عشر يوماً<sup>(١)</sup>.

وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يدعو الله عز وجل فيقول: «اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن دعاء لا يسمع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع»<sup>(٢)</sup>.

وذكر عليه الصلاة والسلام العلم النافع فى ثلاثة لا ينقطع أجرها بعد الموت، فقال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة أشياء: من صدقة جارية، أو علم يُتفع به بعده، أو ولد صالح يدعو له»<sup>(٣)</sup>.

هكذا بين رسول الله ﷺ مكانة العلم وحض أصحابه والمسلمين جميعاً على طلبه، ولم يكتف بذلك بل أمر بتبليغه.

## ٢- حضه على تبليغ العلم:

إن الغاية من العلم أن يتفع أصحابه؛ وينفعوا غيرهم به، ولا فائدة من علم مكتوم أو فقه فى صدور العلماء، لا ينال منه الناس شيئاً. لذلك أمر رسول الله ﷺ

= قال: خرجنا فى سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه فى رأسه ثم احتلم، فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لى رخصة فى التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبى ﷺ أخبر بذلك فقال: «قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذا لم يعلموا، وإنما شفاء العى السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم.. ويعصب.. على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده» انظر سنن أبى داود ص ٨٢ ج١.

(١) تاريخ دمشق لابن عساکر ص ٢٨٠، ٢٨١ ج٦، وطبقات ابن سعد ص ١١٥ قسم ٢ ج٢، وللإستزادة راجع كتابنا زيد بن ثابت ص ٤ و١٧.

(٢) سنن ابن ماجه ص ٥٦ ج١ عن أبى هريرة وأخرج نحوه زهير بن حرب فى كتاب العلم عن أنس، انظر: كتاب العلم ص ١٩٤.

(٣) جامع بيان العلم ص ١٥ ج١ عن أبى هريرة. ورواه البخارى فى الأدب ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى.

بنشر العلم، وحرَم كتمانهُ، وذكر ذلك في مناسبات كثيرة، وشهد على هذا أُلوف المسلمين. قال ابن مسعود: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نَضَرَ اللهُ امرأً سمعَ منا حديثاً فحفظَهُ حتى يبلغهُ، فُرِبَ مَبْلَغُ أَحْفَظَ لَهُ مِنْ سَامِعٍ»<sup>(١)</sup>، والحديث مشهور، وطرقه كثيرةٌ بألفاظٍ متقاربة، منها: «رَبٌّ مَبْلَغٌ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، وَرَبٌّ حَامِلٌ فَفَقَهُ غَيْرِ فَقِيهِ، وَرَبٌّ حَامِلٌ فَفَقَهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»، ومنها: «نَضَرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها ثُمَّ أَدَاها إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْها، فَرَبٌّ حَامِلٌ فَفَقَهُ لَافِقَهُ لَهُ، وَرَبٌّ حَامِلٌ فَفَقَهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ، إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ، وَطَاعَةُ ذَوِي الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنْ دَعَوْتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

وكان يبلغ الوفود التي تغد إليه أن يحملوا الإسلام إلى من خلفهم، ويفقهوهم في الدين، ومن ذلك ما فعله عندما قدم إليه وفد عبد القيس، قال ﷺ: «مَنْ الْقَوْمُ؟» قالوا: ربيعة. قال مرحباً -أو الوفد- غير خزايا ولا ندامى. قالوا: إنا نأتيك<sup>(٣)</sup> من شقة بعيدة وبيننا وبينك هذا الحى من كفارٍ مُضَرٍّ، ولا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فمَرْنَا بِأَمْرٍ نَخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ... قال: احفظوه وأخبروه من وراءكم<sup>(٤)</sup>. ولم يترك رسول الله ﷺ طريقة من طرق التبليغ والإعلام في ذلك العصر إلا استعملها في سبيل تبليغ الإسلام، فأرسل الرُّسُلَ، وطَيَّرَ الكُتُبَ، ووجه الأُمراء والقضاة، فكان مثلاً طيباً لنشر الرسالة، وتبليغ الأمانة، ومنع كتمان العلم: فقال: «مَنْ سئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ، أُجِمْ بِلِجَامٍ مِنْ نَارِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(٥)</sup> وعن أبى هريرة

(١) مسند الإمام أحمد ص ٩٦ حديث ٤١٥٧ ج٦ بإسناد صحيح ورواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان.

(٢) الجرح والتعديل ص ٩، ١٠، ١١ ج١. وانظر سنن ابن ماجه ص ٨٤، ٨٥ ج١، وجامع بيان العلم ص ٣٩ ج١. رواه عن زيد بن ثابت.

(٣) هكذا النص.

(٤) فتح البارى ص ١٩٤ ج١. وتمة الحديث: أمرهم بالإيمان بالله عز وجل وحده، قال هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وتعطوا الخمس من المغنم، ونهاهم عن الدباء، والحتم، والمزفت قال شعبة ربما قال: التغير، وربما قال القير. قال: احفظوه وأخبروه من وراءكم».

(٥) مسند الإمام أحمد ص ٥ حديث ٧٥٦١ ج١٤ وص ٨٦ حديث ٧٩٣ ج١٥.

قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلُ الذي يتعلمُ علماً ثم لا يحدثُ به مثلُ رجلٍ رزقه اللهُ مالاً فكنزهُ فلم يُنْفِقْ منه»<sup>(١)</sup> فهو بمعنى الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتَنُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣٤) يوم يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتَنُونَ ﴿[التوبة: ٣٤، ٣٥].

### ٣- منزلة العلماء (المعلمين):

يكفي رجال العلم فضلاً أن رسول الله ﷺ رائدهم، وأول من حمل لواء التحرير من الجهالة والضلال. وقد بين عليه الصلاة والسلام منزلتهم فقال: «العلماء ورثة الأنبياء»<sup>(٢)</sup>. وحث الأمة على احترام العلماء ومعرفة حقوقهم فقال: «ليس من أمتي من لم يُجلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»<sup>(٣)</sup> وإن للعالم نصيبه عند الله عز وجل من هذا الأجر كما لطالب العلم نصيبه منه. وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «... العالمُ والمتعلمُ شريكان في الأجر»<sup>(٤)</sup> وقال ﷺ: «مُعَلِّمُ الخَيْرِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الحِيتَانُ فِي البَحَارِ»<sup>(٥)</sup>.

### ٤- منزلة طلاب العلم:

من أعظم ميزات الإسلام، أن كل عمل يقوم به المسلم يعود عليه بالفائدة والخير يكتب له به عند الله أجره حتى طلب العلم، قال ﷺ: «من غدا إلى المسجد

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ٧١: ب.

(٢) مجمع الزوائد ص ١٢١ ج١ رواه عن أبي الدرداء وقال: «العلماء خلفاء الأنبياء» وله في السنن «العلماء وريثة الأنبياء» وقال: رواه البزار ورجاله موثوق بهم.

(٣) مجمع الزوائد ص ١٢٧ ج١. رواه الإمام أحمد والطبراني في الكبير وإسناده صحيح.

(٤) جامع بيان العلم وفضله ص ٢٨ ج١ من حديث طويل ذكره ابن عبد البر عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ.

(٥) مجمع الزوائد ص ١٢٤ ج١، وقد رواه الطبراني في الأوسط، وفيه إسماعيل بن عبد الله بن زرارة وثقه ابن حبان وقال الأزدي منكر الحديث، ولا يلتفت إلى قول الأزدي في مثله، وبقيّة رجاله رجال الصحيح. عن جابر بن عبد الله.

لا يريد إلا أن يتعلم خيراً، أو يعلمه كان له كأجر حاج تام<sup>(١)</sup> حجته<sup>(٢)</sup> وفي رواية: «كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله»<sup>(٣)</sup> و«من طلب علماً فأدركه كتب الله له كفلين من الأجر، ومن طلب علماً فلم يدركه كتب الله له كفلاً من الأجر»<sup>(٤)</sup> وقال: «إذا جاء الموت طالب العلم وهو على حاله مات شهيداً»<sup>(٥)</sup>. وإن فضل العلم ليربو على فضل العبادة أحياناً لقوله ﷺ: «فضل العلم خير من فضل العبادة، وملاك الدين الورع»<sup>(٦)</sup>.

وإن منزلة طلاب العلم لتبدو مجسمة واضحة فيما روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «... وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَادَرَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَنْ عِنْدَهُ. وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يَسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»<sup>(٧)</sup>.

وقال صفوان بن عسال: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد متكئ على برد له أحمر، فقلت له: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم، فقال: «مرحبا بطالب العلم، إن طالب العلم لتحفه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب»<sup>(٨)</sup> وفي رواية «من حُبهم لما طلب»<sup>(٩)</sup>.

(١) هكذا النص.

- (٢)، (٣) مجمع الزوائد ص ١٢٣ ج١. الأول رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة ورجاله موثوق بهم، والثاني أخرجه الطبراني في الكبير عن سهل بن سعد وفي سننه يعقوب بن حميد بن كاسب وثقه البخاري وابن حبان وضعفه النسائي وغيره ولم يستندوا في تضعيفه إلا إلى أنه محدود وسماعه صحيح. مجمع الزوائد ص ١٢٣ ج١. وانظر سنن ابن ماجه ص ٥١ ج١ وجامع بيان العلم ص ٣٣ ج١.
- (٤) مجمع الزوائد ص ١٢٣ ج١ رواه الطبراني في الكبير عن واثلة بن الأسقع ورجاله موثوق بهم.
- (٥) جامع بيان العلم وفضله ص ٣١ ج١ رواه البزار عن أبي هريرة وأبي ذر.
- (٦) المرجع السابق ص ٢٢ ج١ رواه البزار والطبراني في الأوسط والحاكم.
- (٧) مسند الإمام أحمد ص ١٦١ حديث ٧٤٢١ ج١٣ بإسناد صحيح، رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان. ونحوه في مجمع الزوائد ص ١٢٢ ج١ وسنن ابن ماجه ص ٥١ ج١.
- (٨)، (٩) مجمع الزوائد ص ١٣١ ج١، رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح، وانظر الجرح والتعديل ص ١٣ ج١.

## ٥- وصية رسول الله ﷺ بطلاب العلم:

عن أبي هارون العبدى قال: كنا إذا أتينا أبا سعيد الخدرى قال: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ. قال: قلنا وما وصية رسول الله ﷺ؟ قال: قال: لنا رسول الله ﷺ: «إنه سيأتى بعمى قوم يسألونكم الحديث عني، فإذا جاءوكم فالطفوا بهم، وحدثوهم»<sup>(١)</sup>.

وفى رواية أنه: إذا رأى الشباب قال: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ، أوصانا رسول الله ﷺ أن نوسع لكم في المجلس وأن نفقههم، فإنكم خلوفنا، وأهل الحديث بعدنا<sup>(٢)</sup>.

وفى رواية أخرى عن أبي سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ، يأمرهم بأن يُرحبوا بطلاب العلم، فيقول: «سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحباً بوصية رسول الله ﷺ، وأفتوهم»<sup>(٣)</sup>.

وفى رواية: «وإنهم - أي طلاب العلم - سيأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فإذا جاءوكم فاستوصوا بهم خيراً»<sup>(٤)</sup>.

تلك لمحة سريعة عن موقف رسول الله ﷺ من العلم، وتشجيعه العلماء وطلاب العلم على التعليم والتعلم، فبين فضل العلم والعلماء وطلابه، ومنزلة كل منهم وأجره، حتى إن المرء لا يكاد يسمع شيئاً من ذلك، إلا اندفع تلقائياً، ليكون أحد أطراف الحياة العلمية، فهل بعد هذا كله وسيلة تشجيعية لطلب العلم وتحصيله؟ وهل وراء ذلك ما ينشئ الصحابة ومن بعدهم عن دراسة الحديث وحفظه وإتقانه؟!

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٧٢: أ، وقد رواه الخطيب البغدادي بسنده الآتي: أنا أبو عمر محمد ابن محمد بن علي بن حبيش التمار، حدثنا أبو علي إسماعيل بن الصفار إملاء، حدثنا محمد ابن علي السرخسي، حدثنا علي بن عاصم ح وأخبرنا علي بن محمد بن عبد الله بن بشران المعدل، حدثنا أبو عمر عثمان بن أحمد الدقاق إملاء، حدثنا أبو بكر يحيى بن جعفر الواسطي، أخبرنا علي بن عاصم أخبرنا أبو هارون العبدى ولفظ الحديث لابن بشران.

(٢) شرف أصحاب الحديث ص ٧٢: ب. (٣) سنن ابن ماجه ص ٥٥ ج ١.

(٤) سنن ابن ماجه ص ٥٦ ج ١.

إن التشجيع العلمى بلغ أوجه، وسبيل العلم متيسر للجميع بينه وبين طلابه حاجز أو مانع، ومعلم الخير يرحب بكل طالب.

ونتقل بعد هذا إلى منهج الرسول الكريم فى تعليم أصحابه.

#### د - منهجه ﷺ فى التعليم:

إن منهج الرسول الكريم فى تبليغ أصحابه لا يتعدى منهج القرآن العظيم، إذ كان الرسول مبلغاً لكتاب الله تعالى، مبيناً أحكامه، موضحاً آياته، وقد نزل القرآن منجماً على محمد ﷺ خلال ثلاث وعشرين سنة، والرسول الكريم يبلغ قومه، ومن حوله، ويفصل تعاليم الإسلام، ويطبق أحكام القرآن، فكان معلماً وحاكماً وقاضياً ومفتياً وقائداً طيلة حياته عليه الصلاة والسلام، فكل ما يتعلق بالأمّة الإسلامية فى جميع شؤونها، دقيقها وعظيمها، وكل ما يتناول الفرد والجماعة فى مختلف نواحي حياتهم، مما لم يرد فى القرآن فهو من السنة، العملية أو القولية أو التقريرية، ومن ثم نجد بين ديننا أحكاماً وآداباً وعبادات وقربات شرعت وطبقت وسنت خلال ربع قرن، فلم توضع السنة دفعة واحدة<sup>(١)</sup> كمجموعة من الشرائع الوضعية، أو الأحكام الخلقية، التى يملئها بعض الحكماء والوعاظ، وإنما شرعت لتربية الأمّة دينياً واجتماعياً وخلقياً وسياسياً، فى السلم والحرب، فى الرخاء والعسر، وتتناول النواحي العلمية والعملية. فلم يكن من السهل أن ينقلب الناس آنئذ فجأة، ويتحولوا بين عشية وضحاها عن تعاليمهم القديمة، وديانتهم وعاداتهم وتقاليدهم إلى الإسلام فى نظمه وتعاليمه وعقائده وعباداته.

(١) والسنة لم تكن قط نتيجة للتطور الدينى والسياسى والاجتماعى للإسلام فى القرنين الأول والثانى كما ادعى «جولد تسيهر» الذى يضيف فيقول: «ليس صحيحاً ما يقال من أنه -أى الحديث- وثيقة للإسلام فى عهده الأول عهد الطفولة، ولكنه أثر من آثار جهود الإسلام فى عصر النضوج» راجع نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى عن دراسات إسلامية لجولد تسيهر. كما ذكر «غاستون ويت» هذا الرأى لجولد تسيهر فى مقاله عن الحديث فى «التاريخ العام للسديانات» ص ٣٦٦ ج٤ بالفرنسية. وذكر واضعو دائرة المعارف الإسلامية قريباً من هذا القول عن جولد تسيهر فى مادة حديث. نقلاً عن كتابه «دراسات إسلامية» ويرى أن السنة من وضع المسلمين. وهذا محض افتراء سأعرض له فى «باب وضع الحديث»، فليراجع.

لقد تدرج القرآن الكريم فى انتزاع العقائد الفاسدة والعادات الضارة، ومحاربة المنكرات التى كان عليها الناس فى الجاهلية، وثبت بالتدرج أيضاً العقائد الصحيحة، والعبادات والأحكام، ودعا إلى الآداب السامية والأخلاق الفاضلة، وشجع الذين التفوا حول الرسول ﷺ على الصبر والثبات وفى هذا كله كان الرسول الكريم يبين القرآن، ويفتى الناس، ويفصل بين الخصوم ويقيم الحدود، ويطبق تعاليم القرآن، وكل ذلك سنة، وسنتناول الآن منهج الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، فى ذلك كله، متوخين الإيجاز، وإن لدراسة أسلوبه ومنهجه لأثراً بعيداً فى تثبيت سنن الرسول ﷺ، ولولا ذلك لم نتعرض لدراسته.

كان رسول الله ﷺ قد اتخذ دار الأرقم مقرأً له ولأصحابه حين كانت الدعوة سرية، فيلتف حوله المسلمون الأوائل بعيداً عن المشركين يتذكرون كتاب الله، وهو يعلمهم مبادئ الإسلام، ويحفظهم ما ينزل عليه من القرآن، وبعد ذلك أصبح منزل الرسول عليه الصلاة والسلام فى مكة ندوة المسلمين، ومعهدهم الذى يتلقون فيه القرآن الكريم، وينهلون من الحديث الشريف على يدى رسول الله ﷺ.

ولا شك فى أن الصحابة كانوا يستظهرون آيات القرآن، ويتدارسونها فيما بينهم، فى بيوتهم وفى حوانيتهم، فى المدينة وفى البداء، ليثبتوا ما سمعوا من رسول الله ﷺ. وقد يتذكرون تفسير ما تلقوه، وما تفسيره إلا شرح رسول الله ﷺ وهو الحديث. فحفظ حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام كان متمشياً جنباً إلى جنب مع حفظ القرآن العظيم من الأيام الأولى لظهور الإسلام. وقصة إسلام عمر تثبت أن المسلمين كانوا يقرؤون القرآن فى بيوتهم، ويتفقهون فى الدين...

ثم أصبح المسجد فيما بعد - المكان المعهود للعلم والفتوى والقضاء، إلى جانب العبادة وإقامة الشعائر الدينية، وعرض الأمور العامة على المسلمين...

ومع هذا لم يقتصر تبليغ الرسول عليه الصلاة والسلام على مكان محدود ولا على مناسبة معينة، فقد كان يستفتى فى الطريق فيفتى؛ ويسأل فى المناسبات

فيجيب، يبلغ الأحكام في كل فرصة تسنح له، وفي كل مكان يتسع لذلك: في حله وترحاله، في سلمه وحرابه.

وإلى جانب هذا كانت له مجالس علمية كثيرة يتخول فيها أصحابه بالموعظة، فإذا جلس جلس إليه أصحابه حلقاً حلقاً<sup>(١)</sup>. ويقول أنس رضى الله عنه: إنما كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حلقاً حلقاً، يقرؤون القرآن، ويتعلمون الفرائض والسنن<sup>(٢)</sup> ومن تاريخ الصحابة وحياتهم العلمية نعلم أن الرسول الكريم لم يكن يرضن على مسلم بالعلم، وأنه كان يكثر مجالسة أصحابه يعلمهم ويزكيهم. وسيظهر لنا ذلك من البحث.

عن ابن مسعود قال: «كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا»<sup>(٣)</sup> فقد كان عليه الصلاة والسلام يخشى أن يمل أصحابه فيتخولهم بالموعظة بين وقت وآخر، لأن الاستمرار في تعليمهم وتوجيههم، يدخل الملل إلى نفوسهم، فتقل الفائدة، فمن الحكمة سلوك هذا الطريق في التعليم، وهو الطريق الذي تعتمده اليوم المؤسسات التربوية في مناهجها التعليمية، وهي خير طريقة لتثبيت ما يتلقاه الطالب من المعلومات.

- وكان ﷺ يخاطب الناس على قدر عقولهم، فإن الكلام الذي لا يبلغ عقول السامعين ولا يفهمونه قد يكون فتنة لهم، فيأتي بغير المقصود منه.

لقد كان الرسول الكريم يخاطب حضوره بما يدركونه، فيفهم البدوى الجافى بما يناسب جفاه وقسوته، ويفهم الحضرى بما يلائم حياته وبيئته، كما أنه يراعى تفاوت المدارك وانتباه أصحابه وقدرهم الفطرية والمكتسبة، فتكفى منه الإشارة إلى الألعى الذكى، واللمحة العابرة إلى الحافظ المجيد. من ذلك: ما رواه أبو هريرة قال: جاء رجل من بنى قزارة إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتى وكَدَتْ غلاماً أسوداً وإنى أنكرته فقال له النبي ﷺ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ» قال: نعم. قال:

(١، ٢) انظر: مجمع الزوائد ص ١٣٢ ج١. وإن كان في بعض رجالهما مقال فإن الطرق الكثيرة التي رويها بها تؤيد صحة الاستشهاد بهما.

(٣) فتح الباري ص ١٧٢، ١٧٣ ج١ ومسنند الإمام أحمد ص ٣٠٢ حديث ٣٥٨١ ج٥.

«فما ألوانها؟» قال: حمر. قال: «هل فيها من أوزق؟» قال: إنَّ فيها لورقًا. قال: «فأنتى أتاها ذلك؟» قال: عسى أن يكون نَزَعُهُ عِرْقُ. قال: «وهذا عسى أن يكون نَزَعُهُ عِرْقُ»<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك أن فتى من قريش أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لى فى الزنا، فأقبل القوم عليه وزجروه فقالوا: مه مه!! فقال: «أذنه» فدنا منه قريبًا. فقال: «أُتجبه لأمك؟» قال: لا والله جعلنى الله فداك. قال: «ولا الناس يُحبونهُ لأمهاتهم» قال: «أُفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداك. قال: «ولا الناس يُحبونهُ لبناتهم» - ثم ذكر له رسول الله أخته وعمته وخالته، وفى كل ذلك يقول الفتى مقالته: «لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداك» - قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه وحصن فرجه» قال (الراوى) فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شىء<sup>(٢)</sup>.

لقد اتبع رسول الله ﷺ أسلوبًا جعل الفتى يدرك أثر الزنا فى المجتمع، وكيف أن الناس جميعًا لا يرضونه لأنفسهم وأهليهم كما أنه لا يرضاه هو لذويه، مما حمّله على الاقتناع بالإقلاع عنه، وخير الأمور ما كان الدافع إليه من قرارة النفس.

وكان يخاطب القوم بلغتهم ولهجتهم، ومن هذا ما رواه الخطيب البغدادي بسنده عن عاصم الأشعري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس من اصبر امصيامُ فى امسفر» أراد ليس من البر الصيام فى السفر وهذه لغة الأشعريين يقلبون اللام ميمًا<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح مسلم ص ١١٣٧ من الحديثين ١٨، ٢٠ ج٢. الأوزق الذى فيه سواد ليس بصاف. والمراد بالعرق هنا الأصل من النسب.

(٢) مجمع الزوائد ص ١٢٩ ج١ عن أبى أمامة الباهلى، رجاله رجال الصحيح وقد رواه الطبرانى فى الكبير.

(٣) الكفاية ص ١٨٣ وقد أخرجه الإمام أحمد. وأخرج الشيخان ومالك وأبو داود والنسائى «ليس من البر الصوم فى السفر» تيسير الوصول ص ٣١٢ ج٢.

وكان إذا تكلم تكلم ثلاثاً لكي يفهم عنه<sup>(١)</sup>، وإذا تكلم تكلم فصلاً يبينه، فيحفظه منه من سمعه<sup>(٢)</sup>.

وعن عائشة أنه ﷺ كان لا يسرد الكلام كسرديكم، ولكن كان إذا تكلم بكلام فصل يحفظه من سمعه<sup>(٣)</sup>. وفي رواية إنما كان النبي يحدث حديثاً لوعده العاد لأحصاه<sup>(٤)</sup>.

ويظهر أنه كان من عادة رسول الله ﷺ أن يعيد كلامه ويكرره على السامعين حتى يدركوه جميعاً فلا يفوت أحدهم بعضه فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً<sup>(٥)</sup> ولا يفهم من حديث أنس هذا أنه كان يفعل ذلك دائماً بل بقدر ما تقتضيه الحاجة.

فمن جميع ما سبق يتبين لنا أنه ﷺ كان يبين للناس الأحكام جيداً حتى لا يبقى لسامع سؤال، ولا لسائل مشكل يقف عنده. حتى إنه كان يجيب السائل بأكثر مما سأله<sup>(٦)</sup>.

كان يتغياً التيسير في جميع أموره، وينهى عن التشديد والتعقيد، يريد من المسلمين أن يأتوا الرخص كما يأتون بالعزائم، وينهى عن التنطع في العبادة والتضييق في الأحكام، ولا بعد في ذلك كله، فإنه ناطق بلسان الشريعة السمحة الميسرة. ويظهر لنا أسلوبه في ذلك كله من تتبع سيرته عليه الصلاة والسلام.

(١) مجمع الزوائد ص ١٢٩ ج١ عن أبي أمامة رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن وأخرج البخاري نحوه عن أنس انظر: صحيح البخاري بحاشية السندی ص ٢٩ ج١.

(٢) كتاب تسمية ما ورد به الخطيب ص ٢٩ ج١ رواه عن عروة عن عائشة، مخطوطة المكتبة الظاهرية دمشق مجموع (١٨).

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٩٦: ب وفتح البارى ص ٣٩٠ ج٧ القسم الأول من الحديث.

(٤) فتح البارى ص ٣٨٩ ج٧ وقبول الأخبار ومعرفة الرواة ص ٥٨ ذكره أبو القاسم البلخي يريد الطعن في أبي هريرة فلم يفلح.

(٥) فتح البارى ١٩٨ ، ١٩٩ ج١، ولعل المراد بالسلام هنا سلام الاستئذان في الدخول.

(٦) انظر: في ذلك فتح البارى ص ٢٤١ ج١ باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله.

ويتجلى مع هذا حلمه تارة، وحبه لأمته تارة أخرى وغضبه للحق حيناً، ونهيه عن التعقيد أحياناً. من ذلك ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه، قال: «دخل أعرابي المسجد فصلّى ركعتين، ثم قال اللهم: ارحمنى ومحمداً ولا ترحم أحداً!! فالتفت إليه) النبي ﷺ، فقال: «لقد تحجّرتَ واسعاً!!» ثم لم يلبث أن بال فى المسجد!! فأسرع الناس إليه، فقال لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين، أهريقوا عليه دلوًا من ماءٍ أو سِجلاً من ماء»<sup>(١)</sup>.

وكان يدعو إلى التيسير دائماً، فعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «علموا ويسّروا ولا تعسّروا، وإذا غضب أحدكم فليسكّ»<sup>(٢)</sup> وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «خير دينكم أيسره، وخير العبادة الفقه»<sup>(٣)</sup>. كما كان ينهى عن الأغلوطات وصعاب المسائل<sup>(٤)</sup>. ومشهور عن معلم الخير ﷺ أنه «ما خيّر بين أمرين إلا أخذ<sup>(٥)</sup> أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه. وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها»<sup>(٦)</sup>.

- وكان ﷺ فى معاملته للمسلمين جميعاً أخاً متواضعاً ومعلماً جليماً، بل كان أبا رحيماً فإذا ما أراد أن يعلم أصحابه بعض الآداب خاطبهم ألين الخطاب

(١) القسم الثانى من الحديث أى بول الأعرابى فى المسجد ذكره البخارى عن أنس وعن أبى هريرة، انظر: فتح البارى ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ ج١ وقصة الدعاء فى موضع آخر. والحديث المذكور أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح فى مستنده، انظر: المسند ص ٢٤٤ حديث ٧٢٥٤ ج١٢ وص ٣٠٩ حديث ٧٧٨٦ ج١٤، قوله ﷺ «تحجّرت واسعاً»: أى ضيقت ما وسعه الله، يقال حجرت الأرض واحتجرتها إذا ضربت عليها مناراً تمنعها به من غيرك. ويرد الأستاذ أحمد محمد شاكر على المستشرق بروكلمان لفهمه هذا الحديث فهما خاطئاً راجع هامش ص ٢٤٥ ج١٢ منه.

(٢) مسند الإمام أحمد: ص ١٢ حديث ٢١٣٦ وص ١٩١ حديث ٢٥٥٦ ج٤ وص ١٥٠ حديث ٣٤٤٨ ج٥ ومجمع الزوائد ص ١٣١ ج١، وراجع فتح البارى ص ١٩٦ ج١. فيه غضبه ممن يطول الصلاة وفى المصلين الضعيف وذو الحاجة، وطلب ممن يصلّى بالناس التخفيف لذلك.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ص ٢١ ج١ وقال رواه البخارى فى الأدب المفرد.

(٤) انظر: عيون الأخبار ص ١١٧ ج٢، ذكر حديثاً عن معاوية بن أبى سفيان قال: نهى رسول الله ﷺ عن الأغلوطات. قال الأوزاعى: يعنى صعاب المسائل.

(٥) كذا فى النص.

(٦) فتح البارى فى حديث عائشة رضى الله عنها ص ٣٨٥ ، ٢٨٦ ج٧.

وأحبه إلى نفس المخاطب، فيقول مثلاً: «إنما أنا لكم مثلُ الوالدِ إذا أتيتُم الغائطَ فلا تَسْقِلُوا القِبلةَ ولا تَسْتَدْبِرُوهَا»<sup>(١)</sup>. وإذا ما أعجب أصحابه به، وحاول بعضهم الثناء عليه أو إطراءه أبى ذلك وقال: «لا تُظروني كما أطرتِ النصرى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ، فقولوا عبده ورسوله»<sup>(٢)</sup> فلم يرض أن يرفعوه عن درجة البشر ويعظموه، وما كان ينتظر منهم جزاء ولا شكوراً.

### تعليم النساء:

جاء نسوة إلى رسول الله ﷺ، فقلن يا رسول الله ما نقدر عليك في مجلسك من الرجال، فواعدنا منك يوماً نأتيك فيه، قال: «موعدكن بيتُ فلان» وأتاهن في ذلك اليوم، ولذلك الموعد، قال (أبو هريرة): فكان مما قال لهن: «ما من امرأة تُقدمُ ثلاثاً من الولدِ تحسبُهُنَّ إلا دَخَلتِ الجنةَ» فقالت امرأةٌ منهن: أو اثنتان؟ قال: «أو اثنتان»<sup>(٣)</sup>.

وكان النساء يسألن رسول الله ﷺ فيجيبهن عن أمور دينهن ولم يكن ذلك صدفة أو نادراً، بل خصص لهن أوقاتاً خاصة يجلسن فيها إليه، ويتلقين عنه تعاليم الإسلام، ويفتيهن، قالت عائشة رضى الله عنها: نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين<sup>(٤)</sup>.

وها هي ذى أم سليم - وهى بنت ملحان حاضرة - فتقول: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ فقال النبي ﷺ: «إذا رأَت الماءَ فغطت أم سلمة - تعنى وجهها - وقالت: يا رسول الله، أو تحتلم المرأة؟ قال: «نعم، تربت يمينك، فبم يشبهها ولدها؟»<sup>(٥)</sup>.

(١) مسند الإمام أحمد ص ١٠٠ حديث ٧٣٦٢ ج ١٣ ونحوه في فتح الباري ص ٢٥٥ ج ١.

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٢٢٦ حديث ١٦٤ ج ١ بإسناد صحيح عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ.

(٣) مسند الإمام أحمد ص ٨٥ حديث ٧٣٥١ ج ١٣ وفتح الباري ص ٢٠٦ ج ١، تحسبن أى تحسب أجراها على الله في الصبر على المصيبة.

(٤) فتح الباري ص ٢٣٩ ج ١.

(٥) فتح الباري ص ٢٣٩ ج ١ عن هشام بن عروة عن زينب، ابنة سلمة قالت جاءت أم سليم.

(أو تحتلم) من غير همزة في الأصل وفي رواية الكشمهني (أو تحتلم).

بهذه الروح الطيبة، والنفس السامية، والصدر الرحب، والمنهج التربوي الصحيح كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه والمسلمين عامة أحكام الإسلام وتعاليمه وآدابه، ولم يكن بين الرسول الكريم والمسلمين حاجب كالمملوك والقياصرة، بل كان المسجد معهده يعلم فيه المسلمون الشريعة، وقد يرونه في الطريق فيسألونه، فيبش لهم ويجيبهم، وقد يعترضونه في مناسكه وحجه، أو راحلته يستفتونه فيفتيهم<sup>(١)</sup> والابتسامة لا تفارق ثغره، وقد تكون إجابته لسائل عن مسألة وحوله جمع قليل أو كثير، وقد يكون على منبر مسجده يبلغ الناس الإسلام وتعاليمه، ويفصل الأحكام ويشرحها... فينقل السامعون ما تلقوه إلى إخوانهم وذويهم فإن من سمع وشاهد ووعى ستبقى آثار ما تلقاه واضحة جلية في نفسه أمدًا طويلاً، حتى إذا ماشك فيما سمع، عاد إلى رسول الله ﷺ، ليزيل وهمه، ويشبهه على الصواب ويرده إلى الحق.

من كل ما سبق يتبين لنا أن منهج رسول الله ﷺ كفيل بأن يحقق ما كان يريده الرسول الكريم من تعليم أصحابه وتربيتهم وتطبيق أحكام الشريعة، وكفيل بأن يثبت تلك الأحكام والتعاليم في نفوسهم.

بعد هذا نقدم على دراسة «المادة» لنرى تفاعل الصحابة معها وتجابوبهم وإياها، ثم ننتقل إلى الصحابة وكيفية تلقيهم الشريعة عن الرسول ﷺ.

(١) راجع مسند الإمام أحمد ص ١٧ حديث ٥٦٢ ج٢ حول حج رسول الله ﷺ وفيه... واستفته جارية شابة من خثعم فقالت: إن أبي شيخ كبير قد أفند، وقد أدركته فريضة الله في الحج فهل يجزئ عنه أن أؤدي عنه؟ قال: نعم، فأدى عن أبيك، قال (على بن أبي طالب) وقد لوى عنق الفضل، فنال له العباس: يا رسول الله لم لويت عنق ابن عمك؟ قال: رأيت شابًا وشابة، فلم آمن من الشيطان عليهما، قال: ثم جاءه رجل فقال: يا رسول الله خلقت قبل أن أنحصر؟ قال انحر ولا حرج، ثم أتاه آخر فقال يا رسول الله إنى أفضت قبل أن أحلق؟ قال: احلق أو قصر ولا حرج... إن هذا القسم من الحديث يعطينا صورة حية عن فتاوى الرسول ﷺ للمسلمين. وراجع فتح الباري ص ١٩١ و ٢٣٣ ج١.

## ٢- مادة السنة

عرفنا في مقدمة هذا الباب أن السنة هي المادة التي تلقاها الصحابة رضی الله عنهم مع القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ، وشاركوا في تطبيقها واتباعها.

وإننا لنرى هذه المادة تتعلق بالمسلمين في جميع أمور حياتهم: في عقائدهم وعباداتهم، ومناسكهم، وبيوعهم ومعاملاتهم، وفي أحوالهم الشخصية، وفي آدابهم، كما تتصل اتصالاً وثيقاً بمختلف مظاهر حياتهم اليومية في السلم والحرب في اليسر والعسر.

والمادة التي تتصف بهذه الصفات تجعل التلميذ متعلقاً بها محبباً لها، حريصاً عليها، لأنها الناظم لأموره وتصرفاته. وقد كان الصحابة حريصين على سنة رسول الله ﷺ محبين لها، يتسابقون إلى مجالس الرسول ﷺ، يدفعهم إلى ذلك إيمانهم القوي وحبهم لمعلمهم الكبير، وقد سمعوا وعرفوا ما للعلم من فضل ومكانة، وما للعلماء وطلاب العلم من منزلة وأجر فأقبلوا على تلقى السنة وتطبيقها من قلوبهم صادقين مخلصين. ويظهر لنا ذلك جلياً في دراسة كيفية تلقيهم السنة عن الرسول ﷺ.

### ٣- كيف كان الصحابة يتلقون السنة عن رسول الله ﷺ؟

ما كان الإيمان يخالط قلوب المسلمين أصحاب رسول الله ﷺ وينير سبيلهم - حتى عرفوا عظمة الإسلام، فانكبوا ينهلون من القرآن الكريم: ذلك المعين الذي لا ينضب بعد أن رأوا فيه المعجزة الكبرى والهداية العظمى وامتألت قلوبهم حباً لله ورسوله عليه الصلاة والسلام، فتفانوا في الدفاع عن مبادئهم وحماية قائدهم ومعلمهم، حتى إن الرجل منهم ليفديه بماله ودمه وولده. لقد تحولت جميع قواهم النظرية، وفضائلهم الطبيعية، وحيوياتهم الدائمة، وتضافرت للمحافظة على الإسلام ونشره، وإن التاريخ ليحفظ تلك المفاخر الخالدة من التضحيات العظيمة النادرة... فإذا ما دعت الحاجة إلى المال سارع المسلمون متنافسين في تقديم أموالهم بين يدي رسول الله ﷺ هذا يتبرع بثلث ماله، وذلك بنصف ماله، وآخر بماله كله...!! وقد تضيق الحال بالمسلمين أنفسهم، فترى عثمان رضی الله عنه

يهب قافلته التجارية القادمة من الشام للمسلمين، ويأبى أن يبيعها بالمبالغ المغرية التي عرضت عليه ويقول: دفع لى بها أكثر من ذلك.

وقد بذلوا نفوسهم للذود عن حياض الإسلام، وفدوا الرسول ﷺ بأرواحهم فإذا ما نزل بهم الخطب فى غزوة أحد رأيناهم يتسابقون للدفاع عن رسول الله ﷺ، وهذا أبو دجانة يجعل ظهره ترساً لرسول الله ﷺ، حتى أثختته الجراح، وإلى جانبه على يذب عنه سيفه، وسعد بن أبى وقاص يرمى بقوسه حتى كتب لهم النصر.

هذه نماذج قليلة لتفانى الصحابة وبذلهم فى سبيل عقيدتهم ودينهم وبهذه الروح السامية والحيوية الدائمة أقدموا على تلقى العلم عن رسول الله ﷺ.

كان الصحابة يتعلمون من النبي ﷺ القرآن الكريم آيات معدودات: يتفهمون معناها، ويتعلمون فقهها، ويطبّقونه على أنفسهم، ثم يحفظون غيرها، وفى ذلك يقول أبو عبد الرحمن السلمى: «حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن: كعثمان ابن عفان وعبد الله بن مسعود، وغيرهما - أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات، لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل... قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً<sup>(١)</sup>».

وكان بعضهم يقيم عند الرسول ﷺ يتعلم أحكام الإسلام وعباداته، ثم يعود إلى أهله وقومه يعلمهم ويفقههم، ومن هذا ما أخرجه البخارى عن مالك ابن الحويرث قال: «أتينا النبي ﷺ ونحن شبيبة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عن تركنا فى أهلنا، فأخبرناه، وكان رفيقاً رحيمًا، فقال: «ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم، وصلوا كما رأيتمنى أصلى، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم»<sup>(٢)</sup>.

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٤، وأبو عبد الرحمن السلمى هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة أحد

كبار التابعين الذين سمعوا من عثمان رضى الله عنه وابن مسعود وزيد بن ثابت، توفى سنة ٧٢هـ وقال البخارى بين سنتي (٧٠، ٨٠) انظر: طبقات ابن سعد ص ١٩ ج ٦ وتهذيب التهذيب ص ١٨٣ ج ٥.

(٢) صحيح البخارى بحاشية السندى ص ٥٢ ج ٤ وسنن الدارمى ص ١٤٨ طبعة كانفور سنة ١٢٩٣.

وكان الصحابة يحرصون على حضور مجالس رسول الله ﷺ حرصاً شديداً، إلى جانب قيامهم بأعمالهم المعاشية من الرعاية والتجارة وغيرها، وقد يعسر على بعضهم الحضور، فيتناوبون مجالسه عليه الصلاة والسلام، كما كان يفعل ذلك عمر رضى الله عنه، قال: «كنت أنا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد، وهى من عوالى المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً، وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره. وإذا نزل فعل مثل ذلك»<sup>(١)</sup>.

ويقول البراء بن عازب الأوسى رضى الله عنه: «ما كل الحديث سمعناه من رسول الله ﷺ، كان يحدثنا أصحابنا، وكنا مشتغلين فى رعاية الإبل، وأصحاب رسول الله ﷺ كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله ﷺ، فيسمعونه من أقرانهم، وعن هو أحفظ منهم، وكانوا يشددون على من يسمعون منه»<sup>(٢)</sup>. وفى رواية عنه: «ليس كلنا كان يسمع حديث رسول الله ﷺ، كانت لنا ضيعة وأشغال ولكن الناس لم يكونوا يكذبون يومئذ، فيحدث الشاهد الغائب»<sup>(٣)</sup>.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه: «.. ليس كل ما نحدثكم عن رسول الله ﷺ سمعناه (منه) ولكن كان يحدث بعضنا بعضاً ولا يتهم بعضنا بعضاً»<sup>(٤)</sup>. وفى رواية عن قتادة أن أنسا حدث بحديث فقال له رجل: سمعت هذا من رسول الله؟ قال: نعم. أو حدثنى من لم يكذب والله ما كنا نكذب ولا كنا ندرى ما الكذب»<sup>(٥)</sup>.

(١) فتح البارى ص ١٩٥ ج ١.

(٢) معرفة علوم الحديث ص ١٤.

(٣) المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٣٢، ٣٣. والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٢: أ ونحوه فى قبول الأخبار ومعرفة الرجال: ٩، ١٠.

(٤) قبول الأخبار ص ٩. أورد أبو القاسم البلخى فى الصفحات الأولى من كتابه من (١ - ٤٦) أخباراً جيدة عن السنة والحديث وسماع الصحابة ثم ما لبث أن قلب ظهر المجن لهم وبدأ يظعن فى أهل الحديث، وهو معتزلى مشهور وفاته (٣١٧ أو ٣١٩هـ) وسأعرض للرد عليه فى مواطن أخرى من هذا الكتاب.

(٥) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٢: أ ورواه السيوطى فى مفتاح الجنة.

وكان الصحابة يتذاكرون دائماً ما يسمعون من رسول الله ﷺ، قال أنس ابن مالك: كنا نكون عند النبي ﷺ فنسمع منه الحديث فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه<sup>(١)</sup>.

والى جانب هذه المجالس، كان الصحابة يتلقون السنة عن رسول الله ﷺ من وجوه يمكن حصرها فيما يأتي:

أ - حوادث كانت تقع للرسول نفسه، فبين حكمها، ويتشر هذا الحكم بين المسلمين بمن سمعوه منه، وقد يكون هؤلاء كثرة تمكنهم كثرتهم من إذاعة الخير بسرعة، وقد يكونون قلة فيبعث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام من ينادى فى الناس بذلك الحكم.

مثال ذلك ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ، مر برجل يبيع طعاماً فسأله كيف تبيع فأخبره، فأوحى إليه أدخل يدك فيه، فأدخل يده، فإذا هو مبلول، فقال رسول الله ﷺ: «ليس منا من غش»<sup>(٢)</sup>.

ومثال ذلك ما رواه القاسم بن محمد أن عائشة أخبرته: أن رسول الله ﷺ دخل عليها وهى مسترة بقرام<sup>(٣)</sup> فيها صورة ثماثيل، فتلون وجهه، ثم أهوى القرام، فهتكه بيده، ثم قال: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله عز وجل»<sup>(٤)</sup>.

وقد يرى رسول الله ﷺ أو يسمع صحابياً يخطئ، فيصحح له خطأه، ويرشده، من ذلك ما رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه رأى رجلاً توضع للصلاة، فترك موضع ظفر على ظهر قدمه، فأبصره النبي ﷺ فقال: «ارجع فأحسن وضوءك» فرجع فتوضأ ثم صلى<sup>(٥)</sup>.

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص٤٦ : ب.

(٢) مسند الإمام أحمد ص١٨ حديث ٧٢٩٠ ج١٣ بإسناد صحيح.

(٣) القرام بكسر القاف ثوب من صوف ملون. وهو صفيق يتخذ سترًا وقيل هو الستر الرقيق وقيل هو ستر فيه رقم ونقوش وجمعه قرم. انظر: لسان العرب ٣٧٤ ج١٥.

(٤) معرفة علوم الحديث للحاكم ص١٢٩ ونحوه فى صحيح مسلم ١٦٦٧ حديث ٩١ ج٣.

(٥) مسند الإمام أحمد ص٢١٤ حديث ١٢٤ ج١ بإسناد صحيح ورواه مسلم أيضاً.

ومن ذلك ما رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي ﷺ، فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: «كلا، إنى رأيت في النار فى بُرْدَةٍ غَلَّهَا أو عِبَاءة»، ثم قال ﷺ: «يا ابن الخطاب: اذهب فننادى الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون». قال: فخرجت فناديت: ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون<sup>(١)</sup>.

ب- حوادث كانت تقع للمسلمين، فيسألون الرسول عنها، فيفتيهم ويحييهم، مبيناً حكم ما سألوا عنه، ومن هذه الحوادث ما يتناول خصوصيات السائل نفسه، ومنها ما يتعلق بغيره، وجميعها من الوقائع التي تعرض للإنسان فى حياته فنرى الصحابة لا يدخلون فى ذلك كله، بل يسرعون إلى المعلم الأول، ليقتفوا على حقيقة تطمئن قلوبهم إليها، وتلج صدورهم عندها. وقد يخجل الصحابي من الرسول ﷺ فيكلف غيره عبء السؤال، من ذلك ما يرويه على بن أبى طالب قال: كنت رجلاً مذاء، فكنت أستحي أن أسأل رسول الله ﷺ لكان ابنته، فأمرت المقداد بن الأسود<sup>(٢)</sup>، فسأله فقال: «يغسل ذكره ويتوضأ»<sup>(٣)</sup>.

وروى قيس بن طلق عن أبيه أنه سأل النبي ﷺ أو سأل رجل فقال: بينا أنا فى الصلاة ذهبت أحك فخذى، فأصابني يدي ذكري؟ فقال رسول الله ﷺ: «هَلْ هُوَ إِلَّا بَضْعَةٌ مِنْكَ»<sup>(٤)</sup>.

وقد يسألونه ﷺ عن أخص من ذلك كما روى عروة عن عائشة رضى الله عنها، قال: جاءت امرأة رفاعة إلى النبي ﷺ فقالت: إن رفاعة طلقني، فأبت<sup>(٥)</sup> طلاقى، فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير، وإن ما معه مثل هدبة الثوب. فقال:

(١) مسند الإمام أحمد ص ٢٤٢ ج ١، وإسناده صحيح.

(٢) فتح الباري ص ٢٩٤ ج ١ وصحيح مسلم ص ٢٤٧ حديث ١٧ ج ١.

(٣) مسند الإمام أحمد ص ٣٩ حديث ٦٠٦ وص ٤٦ حديث ٦١٨ ج ٢ بإسناد صحيح وفتح الباري ص ٢٩٤،

٣٩٤ ج ١، وصحيح مسلم ص ٢٤٧ حديث ١٧ - ١٩ ج ١.

(٤) معرفة علوم الحديث ص ١٣٢ وقال الحاكم... لم يذكر الزيادة فى حك الفخذ غير عبد الله بن رجاء عن همام بن يحيى وهما ثقتان.

(٥) بت وأبت أى طلقني ثلاثاً. والبت القطع. ورفاعة المذكور هو رفاعة القرظي.

«أتريدون أن ترجعوا إلى رفاعة؟ لا، حتى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقُوا عُسَيْلَتَكَ» وأبو بكر عند النبي ﷺ، وخالد بن سعيد ينتظر أن يؤذن له، فقال: يا أبا بكر، ألا تسمع ما تجهر به عند رسول الله ﷺ؟<sup>(١)</sup>

لقد كان المسلمون يسألونه عن أمورهم وأحوالهم، لا يحجبهم عنه حاجب، ولا يمنعهم منه مانع، لذلك نرى الأعرابي البعيد عنه يسأله كما يسأله الصحابي الملازم له، كلهم يريدون الحق، قال علي رضي الله عنه: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنا نكون بالبادية، فتخرج من أحدنا الرويحة<sup>(٢)</sup>، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، إِذَا فَعَلَ أَحَدُكُمْ فليَتَوَضَّأْ، وَلَا تَأْتُوا النِّسَاءَ فِي أَعْجَازِهِنَّ»<sup>(٣)</sup>.

إن هؤلاء الصحابة الذين يسألون رسول الله ﷺ عن مثل هذه الأمور الشخصية التي قد يخجل منها غيرهم، كانوا لا يحجبون عن سؤاله في معاملاتهم وعباداتهم وعقائدهم وسائر أمورهم، بل إن بعضهم كان إذا وصله خبر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، يعود إليه لينهل من معينه، ويتزود من علمه، كما حدث لضمام ابن ثعلبة وقومه حين جاءهم رسول رسول الله ﷺ يبلغهم الرسالة<sup>(٤)</sup>، فانطلق ضمام إلى رسول الله ﷺ، وكان حوله أصحابه، فدخل المسجد على جمل، قال أنس: «... فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ مَتَكَّى بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ. فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمَتَكَّى. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ (ضمام): ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ أَجَبْتُكَ»، فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك. فقال: «سَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ» قال أسألك بربك ورب من قبلك، الله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: «اللهم نعم». قال: أنشدك بالله، الله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم

(١) معرفة علوم الحديث ص ١٣٠ وصحيح مسلم ص ١٠٥٥ حديث ١١١ وما بعده ج ٢.

(٢) الرويحة تصغير راحة وكتي بها هنا عن الريح الذي يطلق من البطن عن طريق الشرج.

(٣) مسند الإمام أحمد ص ٦٤ حديث ٦٥٥ ج ٢ (وقال مرة في أدبارهن).

(٤) انظر: معرفة علوم الحديث ص ٥ وقد أخرجه مسلم.

والليلة؟ قال: «اللهم نعم»... فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر»<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك ما حدث لأحد الصحابة حين قبل امرأته وهو صائم، «فوجد من ذلك وجداً شديداً، فأرسل امرأته تسأل عن ذلك، فدخلت على أم سلمة أم المؤمنين فأخبرتها؟ فقالت أم سلمة: إن رسول الله يُقبلُ وهو صائم. فرجعت المرأة إلى زوجها فأخبرته، فزاده ذلك شراً!! وقال: لسا مثل رسول الله، يُحلُّ الله لرسوله ما شاء. فرجعت المرأة إلى أم سلمة، فوجدت رسول الله عندها، فقال رسول الله: «ما بال هذه المرأة؟» فأخبرته أم سلمة، فقال: «ألا أخبرتها أني أفعلُ ذلك؟!» فقالت أم سلمة: قد أخبرتها فذهبت إلى زوجها فأخبرته فزاده ذلك شراً، وقال: لسا مثل رسول الله، يُحلُّ الله لرسوله ما شاء، فغضب رسول الله، ثم قال: «والله إنني لأتقاكم لله ولأعلمكم بحدوده»<sup>(٢)</sup>.

لقد حملة ورعه أن يظن هذا الحكم خاصاً بالرسول حتى أكد الرسول عليه الصلاة والسلام أنه حكم عام.

وقد كانت السيدة عائشة أم المؤمنين لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه<sup>(٣)</sup>.

وقد يختصم مسلمان في قضية أو حكم، فيرجعان إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ليفصل بينهما ويبين وجه الصواب. من ذلك ما رواه المسور بن مخرمة: أن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان، فقرأ فيها حروفاً لم يكن نبي الله ﷺ أقرأها، قال: فأردت أن أساوره وأنا في الصلاة، فلما فرغ قلت: من أقرأك هذه القراءة؟ قال: رسول الله ﷺ قلت: كذبت والله، ما هكذا أقرأك رسول الله ﷺ، فأخذت بيده أقوده، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إنك أقرأتني سورة الفرقان، وإني سمعت

(١) فتح الباري ص ١٥٩ ج ١ ونحوه في معرفة علوم الحديث ص ٥.

(٢) الرسالة ص ٤٠٤ فقرة ١١٠٩ وهكذا اللام ثابتة في الأصل في (اعلمكم).

(٣) انظر: فتح الباري ص ٢٠٧ ج ١.

هذا يقرأ فيها حروفاً لم تكن أقرأتنيها، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ يا هشام فقرأ كما كان قرأ، فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أنزلت»<sup>(١)</sup> ثم قال لى: «اقرأ»، فقرأت، فقال: «هكذا أنزلت. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر»<sup>(٢)</sup>.

إن فى هذه الأجوبة والفتاوى والأقضية مادة كثيرة فى مختلف أبواب كتب السنة، حتى إنها تؤلف جانباً كبيراً من سنة رسول الله ﷺ، ويبعد أن ينسى هذه الحوادث من وقعت له وسأل عنها الرسول ﷺ، لأنها جزء من حياة السائل بل واقعة بارزة من وقائع عمره.

ج - وقائع وحوادث شاهد فيها الصحابة تصرفات الرسول ﷺ. وهذه كثيرة فى صلاته وصيامه وحجه وسفره وإقامته... فنقلوها إلى التابعين الذين بلغوها إلى من بعدهم وهى تؤلف جانباً كبيراً من السنة، وخاصة هديه ﷺ فى العبادات والمعاملات وسيرته... ومن ذلك سؤال جبريل النبى ﷺ عن الإيمان، والإسلام والإحسان وعلم الساعة، وإجابته ﷺ عن ذلك كله، وبعدما انصرف جبريل التفت الرسول ﷺ إلى من حوله وقال: «يا عمر، أتدرى من السائل؟ قال عمر: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك ما رواه على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: أوتر رسول الله ﷺ من أول الليل وآخره وأوسطه فأنتهى وتره إلى السحر<sup>(٤)</sup>.

ومن ذلك أيضاً ما رواه سالم بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن عمر: أنه رأى رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر يمشون أمام الجنائز<sup>(٥)</sup>.

(١) مسند الإمام أحمد ٢٢٤ حديث ١٥٨ ج١ بإسناد صحيح.

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٢٧٤ حديث ٢٧٧ ج١ بإسناد صحيح، وليس فى هذه الرواية مساورة عمر لهشام فى الصلاة. وأخرج البخارى ومسلم نحوه، انظر: فتح البارى ص ٣٩٩ ج١ وصحيح مسلم ص ٥٦٠ حديث ٢٧٠ ج١.

(٣) شرح الأربعين النووية ص ١٢ رواه مسلم وانظر: فتح البارى ص ١٢٣ - ١٣٢ ج١ ومسند الإمام أحمد ص ٣١١ حديث ٣٦٧ ج١ بإسناد صحيح. وكان جبريل عليه السلام قد جاء إلى الرسول ﷺ وأصحابه حوله على هيئة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا تظهر عليه علامات السفر قال عمر (رضى الله عنه) ولا يعرفه منا أحد. والحديث مشهور عن عمر رضى الله عنه.

(٤) مسند الإمام أحمد ص ٦٤ حديث ٦٥٣ ج٢ بإسناد صحيح.

(٥) المرجع السابق ص ٢٤٧ حديث ٤٥٣٩ ج٦ بإسناد صحيح.

ومن ذلك ما رواه علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ نصلى، إذ انصرف ونحن قيام، ثم أقبل ورأسه يقطر، فصلى لنا الصلاة، ثم قال: «إني ذكرتُ أني كنتُ جنباً حين قمتُ إلى الصلاة، لم أغتسل، فمن وجد منكم في بطنه رزاً<sup>(١)</sup> أو كان على مثل ما كنتُ عليه فلينصرف حتى يفرغ من حاجته أو غُسله، ثم يعود إلى صلاته»<sup>(٢)</sup>. وما رواه أيضاً فقال: كان آخر كلام رسول الله ﷺ: «الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم»<sup>(٣)</sup>.

مما سبق يتضح لنا أن عوامل ثلاثة تضامنت وتضافرت في سبيل حفظ السنة المشرفة في عهد الرسول ﷺ، وهذه العوامل هي: شخصية الرسول من حيث هو مرب ومعلم، وفوق هذا، وأكثر من هذا من حيث هو رسول رب العالمين، والسنة من حيث مادتها، والصحابة وهم الطلاب الذين تلقوا السنة وشاركوا في تطبيقها، وتجاوبوا مع المعلم الأول والمادة مخلصين، بقلوب عظيمة انطوت على رغبة ملحة، وإرادة قوية في اتباع ما به يتم إيمانهم، ويقطع صلتهم بما كانوا فيه من ضلال. كل ذلك كان له الأثر الكبير في حفظ الصحابة للسنة دقيقتها وجليلها، ثم نقلها إلى التابعين الذين نقلوها إلى من بعدهم طبقاً لما قاله ﷺ لأصحابه: «تسمعون ويسمع منكم ويسمع من يسمع منكم»<sup>(٤)</sup>.

ويمكننا أن نقول - ونحن واثقون مطمئنون - : إن السنة في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام كانت محفوظة عند الصحابة جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم، وإن كان نصيب كل صحابي منها يختلف عن نصيب الآخر، فمنهم الكثير من حفظها، ومنهم المقل، ومنهم المتوسط في ذلك. ومن ثم نستطيع تأكيد أنهم قد أحاطوا بالسنة، وتكفلوا بنقلها إلى التابعين.

ويخطئ من يدعى أن بعض السنن فات الصحابة جميعاً بعد أن رأينا مدى عنايتهم بها، وحرصهم عليها. فكيف يغيب عنهم شيء منها، وهم الذين صحبوا

(١) الرز: الصوت الخفى ويريد به القرقرة، وقيل هو غمز الحدث وحركته للخروج.

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٧٤ رقم ٦٦٨ ج ٢.

(٣) المرجع السابق ص ٢٩ ج ٢ وإسناده صحيح.

(٤) مسند الإمام أحمد ص ٣٤ حديث ٢٩٤٧ وانظر: الجرح والتعديل ص ٨ ج ١.

رسول الله ﷺ نبيًا وعشرين عامًا قبل الهجرة وبعدها، فحفظوا عنه «أقواله وأفعاله، ونومه ويقظته، وحركته وسكونه، وقيامه وقعوده، واجتهاده وعبادته، وسيرته وسراياه ومغازيه، ومزاحه وزجره، وخطبه وأكله وشربه، ومعاملته أهله، وتأديبه فرسه وكتبه إلى المسلمين والمشركين، وعهوده وموائيقه، وألحاظه وأنفاسه وصفاته، هذا سوى ما حفظوا عنه من أحكام الشريعة، وما سألوه عن العبادات والحلال والحرام أو تحاكموا فيه إليه»<sup>(١)</sup> فكانوا بحق خير خلف لخير سلف رضى الله عنهم.

#### ٤- انتشار السنة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام

انتشرت السنة مع القرآن الكريم منذ الأيام الأولى للدعوة، يوم كان المسلمون قلة يجتمعون سرًا في دار الأرقم بن عبد مناف، يتلقون تعاليم الدين الجديد يقرؤون القرآن، ويقيمون شعائهم، وما لبث النبي عليه الصلاة والسلام أن صدع بأمر الله تعالى، وكثر المسلمون، وعم الإسلام الجزيرة العربية، وكان الرسول ﷺ في جميع مراحل الدعوة يبلغ الناس، ويفتيهم ويقضى بينهم، ويخطبهم ويسوسهم في السلم والحرب، وفي الشدة والرخاء، ويعلمهم فيحفظون الأحكام ويطبّقونها. وقد تضافرت عوامل عدة تكفلت بنشر السنة في الآفاق، منها:

١- نشاط رسول الله عليه الصلاة والسلام، وجده في تبليغ دعوته ونشر الإسلام، فلم يترك وسيلة للدعوة إلا استفاد منها، ولا سبيلاً إلا سلكها، فعرض نفسه على القبائل، وتحمل الصعاب وصنوف الأذى، واتصل بوفود المواسم وعرض عليهم الإسلام... فلم يأل جهداً في تبليغ الرسالة... حتى عز الإسلام وقويت دولته... وفي جميع تلك التطورات كانت السنة تأخذ مكانها في نفوس المسلمين.

٢- طبيعة الإسلام ونظامه الجديد، الذي جعل الناس يتساءلون عن أحكامه، وعن رسوله وأهدافه، فكان بعض من يسمع بالدعوة يقبل على رسول الله عليه الصلاة والسلام، يسأله عن الإسلام فيعلن إسلامه، وينطلق إلى قومه ليبلغهم ما رأى ويخبرهم ما سمع...

(١) المدخل إلى كتاب الإكليل في أصول الحديث ص ٧، ٨.

٣- نشاط أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام، واندفاعهم في طلب العلم وحفظه وتبليغه، وقد سبق أن تكلمت مفصلاً عن نشاطهم العلمي في بحث «كيف كان الصحابة يتلقون السنة؟».

٤- أمهات المؤمنين رضى الله عنهن: كان لأمهات المؤمنين فضل عظيم في تبليغ الدين، ونشر السنة بين نساء المسلمين، فقد كان بعض النساء يخجلن من أن يسألن رسول الله عليه الصلاة والسلام عن أمورهن فيجدن عند أزواجه ما يشفى غليلهن، لأنهن على صلة دائمة به، يتعلمن منه الأحكام، ويتقلن عنه ما لا يتاح لغيرهن نقله، وقد اشتهرت السيدة عائشة رضى الله عنها بعلمها الغزير، وحرصها على فهم الأحكام، فعن ابن أبي مليكة «أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: «مَنْ حُوسِبَ عُدْبٌ، قالت عائشة: فقلت: أو ليس يقولُ اللهُ تعالى: «... فسوف يحاسب حساباً يسيراً»؟ قالت: فقال: إنما ذلك العرضُ ولكن مَنْ نُوقِشَ الحِسابَ يَهْلِكُ»<sup>(١)</sup>.

وقد عرف المسلمون سمو مكائنها، وتعمقها في أحكام الإسلام، فكانت - بعد وفاة رسول الله ﷺ - محط أنظار طلاب العلم والمستفتين ومرجعهم في كثير من أمور دينهم.

٥- الصحابيات: كان للنساء أثر عظيم في حفظ السنة وتبليغها لا يقل عن أثر الصحابة رضى الله عنهم، وقد رأينا حرصهن على حضور مجالس الرسول عليه الصلاة والسلام، حتى إذا ما رأين الرجال قد غلبوهن على رسول الله ﷺ، طلبن منه أن يعين لهن جلسات خاصة بهن يسألنه فيها عن أمورهن ويتعلمن أحكام الإسلام... كما أنهن كن يشهدن بعض المواسم كصلاة العيد ويستمعن إلى أحاديث رسول الله ﷺ، وقد كان لهؤلاء الصحابيات أثر عظيم في حمل أحكام كثيرة تتعلق بالنساء وحياتهن الزوجية، كان من الصعب أن يسأل الصحابة عنها رسول الله ﷺ.

(١) فتح الباري ص ٢٠٧ ج ١.

٦- رسله ﷺ وبعوثة وولاته: أصبحت المدينة بعد الهجرة مقر الدولة الإسلامية، وقاعدة الدعوة: تنبعث منها الهداية إلى الآفاق، وتتحطم على إثرها أصنام الشرك، وتتقوض أمامها عروش الطغيان، فمن يثرب انطلق رسل النبي ﷺ إلى القبائل المجاورة والنائية، يدعونهم إلى الإسلام، ويعلمونهم أحكامه ونظمه، عندما كانت قريش تحول بين القبائل المسلمة والنبي عليه الصلاة والسلام، وكان رسول الله ﷺ يوجه رسله ويرشدهم ويعلمهم أصول الدعوة ويأمرهم أن يدعوا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ومن ذلك وصيته لمعاذ ابن جبل ولأبي موسى الأشعري عندما وجههما إلى اليمن<sup>(١)</sup>: قال عليه الصلاة والسلام: «يَسْرًا وَلَا تَعَسْرًا، وَيَسْرًا وَلَا تَنْفَرًا»، وقال لمعاذ رضى الله عنه: «إنك ستأتى قومًا من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»<sup>(٢)</sup>: وكان يشجع عماله وقضاته، قال على رضى الله عنه: «بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله إنك تبعثنى إلى قوم هم أسنُّ منى لأقضى بينهم، قال: اذهب، فإنَّ الله تعالى سيثبت لسانك ويهدى قلبك»<sup>(٣)</sup>.

وقد كانت بعوثة عليه الصلاة والسلام وولاته خير من يحمل الرسالة ويؤدى الأمانة.

وفى السنة السادسة كثرت بعوثة ﷺ، فقد وجه بعد صلح الحديبية رسله إلى الملوك، يحملون إليهم كتبه، وفى يوم واحد انطلق ستة نفر إلى جهات مختلفة يتكلم كل واحد منهم بلسان القوم الذين بعث إليهم<sup>(٤)</sup>، فقد اشتهر أنه أرسل

(١) انظر: صحيح البخارى بحاشية السندى ص ٧٢ ج٣ وكان ذلك فى السنة التاسعة للهجرة.

(٢) صحيح مسلم ص ٥٠ حديث ٢٩، ٣٠ ج١.

(٣) مسند الإمام أحمد ص ٧٣ حديث ٦٦٦ ج٢ بإسناد صحيح.

(٤) انظر: المصباح المفضى ص ٤٠.

رسله إلى قيصر الروم<sup>(١)</sup>، وإلى أمير بصرى، وإلى الحارث بن أبي شمر أمير دمشق من قبل هرقل، وإلى المقوقس أمير مصر من قبل هرقل يدعوهم إلى الإسلام، كما وجه كتبه إلى النجاشي ملك الحبشة، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، وأرسل كتبه ورسله إلى عمان واليمامة وغيرها... وكان الرسل يجيبون عما يسألهم عنه الملوك والأمراء ورؤساء القبائل، ويبنون لهم الإسلام وغاياته على ضوء ما يزودهم به الرسول عليه الصلاة والسلام من التوجيه والإرشاد، وكان عليه الصلاة والسلام يولى على كل قوم قبلوا الإسلام كبيرهم، ويمدهم بمن يفقههم ويعلمهم.

٧ - غزوة الفتح (الفتح الأعظم): فى سنة ثمان من الهجرة نقضت قريش صلح الحديبية، فدعا رسول الله القبائل المسلمة أن تحضر رمضان فى المدينة، وانطلق بعشرة آلاف<sup>(٢)</sup> مجاهد إلى مكة، ففتحها وقوض الوثنية وحطم الأصنام، ثم قام خطيباً فى ألوف المسلمين والمشركين فعفا عن أعدائه الذين اضطهدوه وآذوه. ثم أعلن كثيراً من الأحكام، منها ألا يقتل مسلم بكافر، ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين، ولا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها... ثم أقبل الناس يبايعون رسول الله عليه الصلاة والسلام...

لقد كان فتح مكة حدثاً تاريخياً عظيماً، نقله جموع غفيرة، ونقلت معه خطبة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام إلى الآفاق، كما نقل المسلمون الجدد ما سمعوا من إرشاد وتوجيه إلى أهلهم وذويهم فى مكة وغيرها.

٨ - حجة الوداع: خرج رسول الله ﷺ فى شهر ذى الحجة من السنة العاشرة للهجرة، إلى مكة المكرمة وحج بالناس، وكان معه جمع عظيم يبلغ تسعين<sup>(٣)</sup>

(١) انظر: سيرة ابن هشام ص ٢٧٩ ج ٤ وصحيح مسلم ص ١٣٩٣ و ١٣٩٧ ج ٣ وانظر: أخبار الرسل إلى الملوك والأمراء مفصلة فى المصباح المصنوع ص ٦٠ - ١١٤.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ص ١٧ ج ٤.

(٣) اختلف فى عدد من حضر حجة الوداع وفى رواية عن أبى زرعة أنهم أربعون ألفاً انظر: تليح فهم أهل الآثار ص ٢٧. ب.

ألقاً، ووقف في عرفة في هذه الجموع الكثيرة وخطب خطبة جامعة بين فيها كثيراً من الأحكام، منها حركة دماء المسلمين وأموالهم، وأداء الأمانة، ووضع ربا الجاهلية وإبطاله، كما وضع دماء الجاهلية التي كانت بينهم ومنع العادات الباطلة... ومنع النسيء تأكيداً لما في كتاب الله، وبين بعض حقوق الرجال وحقوق النساء وحث على حسن معاملتهن... ومنع الوصية للوارث...

لقد كانت هذه الخطبة الجامعة من أهم العوامل في انتشار السنة بين القبائل العربية، لأنه سمعها عدد كبير جداً، ونقلوها إلى الآفاق، طبقاً لما جاء فيها من قوله ﷺ: «ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد، فليبلغ الشاهد منكم الغائب»<sup>(١)</sup>.

٩- الوفود بعد الفتح الأعظم وحجة الوداع: بعد فتح مكة أقبلت وفود العرب من سائر أطراف الجزيرة العربية يبائعون الرسول ﷺ وينضمون تحت لواء الإسلام، وتتابع هذه الوفود وكثرت بعد حجة الوداع، وكان رسول الله ﷺ يرحب بالوافدين، ويعلمهم الإسلام، ويزودهم بنصائحه وإرشاداته، وكانت بعض الوفود تقيم عنده أياماً ثم تعود إلى قبائلها تبلغهم الدين الخفيف، ومن هذه الوفود وفد ضمام بن ثعلبة الذي علمه الرسول ﷺ الإسلام، فعاد إلى قومه ودعاهم فأسلموا، ووفد عبد القيس، ووفود بني حنيفة وطىء وكندة وأزدشنوءة، ووفد رسول ملوك حمير، الذين أسلموا وأرسلوا رسولهم بذلك إلى الرسول ﷺ، فبعث إليهم عليه الصلاة والسلام كتاباً يخبرهم أنه علم بإسلامهم، ويحثهم على طاعة الله والتمسك بدينه، وفيه وصيته لهم برسله وبيعوثه، ويوصيهم الخير في الرعية... كما قدمت وفود همدان، وتجبب - قبيلة من كندة - ووفود ثعلبة وبني سعد من هذيم ووفود كثيرة يضيق المقام عن ذكرها<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: سيرة ابن هشام ص ٢٧٦ ج ٤، ونحوه في صحيح مسلم ص ١٣٠٦ ج ٣.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ص ٢٢١ ج ٤.

لقد كان رسول الله ﷺ يرى في هذه الوفود الخير، فيكرمهم ويعلمهم، وكانوا يسألونه ويجيبهم، وقد سمعوا حديثه، وشهدوا بعض موافقه، وشاركوه في العبادة، ورأوا كثيراً من تصرفاته. فكان لهذه الوفود أثر عظيم في نقل السنة وانتشارها.

ونرى أن تلك العوامل الكثيرة كانت كافية لنشر السنة وتبليغها للمسلمين، في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية آنذاك.

تلك لمحة سريعة عن انتشار السنة في عهده ﷺ، وقد حرص الصحابة والمسلمون جميعاً على حفظها وتبليغها، ولم ينتقل رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن انتشر الإسلام في الجزيرة العربية كلها وساد ربوعها، وملاً القرآن والسنة صدور أهلها، مصداقاً لقوله عز وجل، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

\*\*\*